

من الحماية إلى الهداية: مدى عون الملائكة في حياة الإنسان

كيف يحوّل عون الملائكة وإمدادهم مجرى حياتنا؟

لقد أقام الله تعالى نظام الوجود، بشقيه المادي والروحي، على أساس قوانين ثابتة وراسخة. هذه القوانين، التي تُطلق عليها السُنن الإلهية، هي قوانين أبدية لا تتغير بمرور الزمن أو باختلاف الظروف. فعلى سبيل المثال، يتبخّر الماء بالحرارة ويتجمده بالبرودة قاعدة لا تتبدل، وكذلك بركة الرزق في حياة من يكسبه حلاًلاً ويتصدق منه. تتنوع السُنن الإلهية، وتعدُّ سُنّة المدد الإلهي من أهمها، وهي تعني إمداد الله للإنسان بما يعينه على تحقيق مقاصد اختارها بإرادته الحرة. يمكن تقسيم سُنّة الإمداد بناءً على شمولها للأفراد إلى قسمين رئيسيين:

• **المدد العام:** فالإمدادات العامّة نابعة من صفة الرحمانية ورحمته الواسعة، وهي تشمل جميع البشر مؤمنهم وكافرهم على السواء.

• **المدد الخاص:** الإمدادات الخاصّة، فهي مخصوصة بعباد الله المؤمنين، وتنبثق من صفة الرحيم ومن العناية الإلهية الخاصة التي يفيضها الله عليهم.

يُعدّ الإمداد الغيبي أحد صور الإمداد الخاص للمؤمنين، ومن أهم مظاهره إمداد الملائكة. لقد ترسخ الإيمان بوجود الملائكة - المخلوقات النورانية المطيعة لأمر الله - كوسائط بين الخالق والمخلوق، في جميع الثقافات والأديان الإلهية. هذه القناعة، المتجذرة في التعاليم الدينية وتجارب بشرية، تؤكد أن الإنسان ليس متروكاً في هذا العالم، بل هو محل لطف وعناية إلهية دائمة. فللملائكة، بوصفهم مخلوقات نورانية مطيعة لأمر الله ووسائط بين الخالق والمخلوق، مهمات متعددة، تشمل العبادة والتسبيح، تسجيل الأعمال، إبلاغ الوحي، حماية البشر، نصره المؤمنين، إيصال الرزق المادي والروحي، قبض الأرواح، هداية القلوب، وتنفيذ العذاب الإلهي. إن إمداد الملائكة هو تجلٌّ لرحمة الله الواسعة التي تتجسد بأشكال متنوعة في حياة الأفراد.

مجالات إمداد الملائكة

لا يقتصر إمداد الملائكة على مجال واحد أو مجالين، بل يظهر في مختلف أبعاد الحياة، من الروحانيات إلى أمور مادية دنيوية. وفيما يلي استعراض لأبرز مظاهر هذه الإمدادات:

الحفظ والحراسة من بلاءات ومخاطر

تُعد حماية الإنسان من أبرز مهمات الملائكة. يشير القرآن الكريم إلى ذلك: "لَهُ مَعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ"^١. تشمل هذه الحماية دفع البلاء، والوقاية من أضرار جسدية، وحتى صد وساوس الشيطان. تجدر الإشارة إلى أن هذه الحماية من أضرار جسدية تستمر فقط حتى حلول أجل الإنسان المُحتَم؛ فعندما يحين الأجل، تنتهي مهمة الملائكة الحافظة ويُسلَّم الأمر لملك الموت ومن معه. بشكل عام، لا تمنح الملائكة الأقدار الحتمية، بل تحمي الإنسان من حوادث لم يقض الله بوقوعها.

ومن النقاط المهمّة في باب حماية الملائكة ومساعدتهم أنّ هذه الحماية ليست مطلقة بلا شرط؛ فلا يمكن للإنسان أن يُلقي بنفسه في مواطن الهلاك، أو يُقدِّم على تصرفات طائشة، أو يرتكب الذنوب الموجبة للعذاب الإلهي، ثم يتوقّع مع ذلك استمرار حماية الملائكة له. ولتلا يرسخ هذا الوهم في الأذهان، يختتم الله الآية السابقة بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»^٢. إن من يسعى نحو السوء والإثم يفتح على نفسه أبواب الفشل والشقاء. فالله خلق الإنسان مختاراً، ولا يشاء أن يقف بالقوة أو بالمعجزات في وجه اختياراتنا الخاطئة؛ ورغم ذلك، يبقى الله الرحيم يُرسل علامات الهداية حتى لأكثر الناس شقاءً، لكن الكثيرين يتعمدون تجاهلها.

الثبات الروحي وتقوية العزائم في الشدائد

يحتاج الإنسان، عند مواجهة المحن والمخاوف والصعاب، إلى تعزيز روحي وثبات في العزيمة. في هذه اللحظات، تأتي الملائكة لإغاثة المؤمنين، فتتشر في قلوبهم السكينة والطمأنينة وقوة القلب، مما يجعلهم أكثر مقاومة للتحديات. هذا العون الملائكي يمنح المؤمنين من اليأس، ويقوي توكلهم على الله للاستمرار في الطريق الصحيح. إن كثيراً من السكينة والقوة الروحية التي تُمنح للمقاتلين في ساحات نصره الحق، هي من هذا القبيل. بالطبع، يتطلب تلقي هذا الاطمئنان الملائكي استعداداً قلبياً، ويتحقق عندما يهيئ الفرد نفسه لذلك من خلال تزكية النفس وتهذيبها.

^١ سورة الرعد، الآية ١١

^٢ سورة الرعد، الآية ١١

من أبرز وأوضح الأمثلة التاريخية على عون الملائكة ما حدث في غزوة بدر، حيث نصر الله المسلمين، رغم قلة عددهم وضعف عتادهم، بإنزال ألف من الملائكة نصره لهم. ويُعد هذا العون من أوسع أشكال المدد الغيبي في التاريخ الإسلامي المبكر. وهذا يدل على أن نزول المدد مرهون بتقوى المؤمنين وإخلاصهم وتوكلهم؛ فكلما ازداد الإخلاص وقوي التوكل، ازداد نصيب الفرد من الإمدادات الغيبية.

كما تكرر الإمداد الغيبي في غزوة الأحزاب (الخدق)، عندما حاصرت جيوش متحدة المدينة بعشرة آلاف مقاتل، وبناءً على مشورة الصحابي الجليل سلمان الفارسي، أقدم المسلمون على حفر خندق عظيم حول المدينة المنورة، وهو جهد مضمّن وشاق للغاية بالنظر إلى أدوات متاحة آنذاك. وقد طال أمد المعركة وامتد الحصار على المدينة، مما أدى إلى نفاذ المون وتكبد المسلمين مشقة هائلة. وفي ذروة الأزمة، واستجابة لدعاء واستغاثة الجيش الإسلامي، أرسل الله الرياح الشديدة وجنوداً من الملائكة، مما أدى إلى تشتت جيش العدو ونصرة المسلمين.

إلهامات غيبية وإرشادات قلبية

يمكن للملائكة أن تُعين المؤمنين في اتخاذ قرارات سليمة واختيار مسارات صحيحة من خلال إلهامات وهداية قلبية، أو حتى عبر رؤى صادقة. غالباً ما تكون فكرة مفاجئة أو شعور قوي نحو فعل الخير ذا منشأ ملائكي. نقول عادة "وقع في قلبي" فعل كذا، والحقيقة أنه لا شيء في الكون يحدث عشوائياً، ولكل نية تقع في القلب مصدر خارجي، قد يكون شيطانياً أو ملائكياً.

غير أنّ تلقّي الإلهامات الغيبية، كما ذكرنا، يحتاج إلى استعدادٍ نفسي وروحي. فالذين يُصرون على رفض الحق، ويُظهرون العناد والتمرد، يحرمون أنفسهم من هذه الإلهامات ويُغلقون أبواب الهداية أمام قلوبهم. لا تدخل إلهامات غيبية إلا قلوب الأحرار، وطلبية الحقيقة، والبعيد عن التعصب؛ وأي إنسان يمتلك ولو بصيصاً من النقاء والنورانية، حتى لو كان ظاهره يرتكب الأخطاء، يستخدم الله هذا المنفذ الصغير ليهديه إلى الطريق القويم.

المعونة على العبادة ونيل القرب من الله

إنّ الملائكة من المقربين لله، و هم يعينون المؤمنين في مسيرتهم نحو العبودية. فهم يحضرون مجالس الذكر وحلقات القرآن، ويستغفرون للمؤمنين، ويرفعون دعواتهم إلى الله. إن هذا الحضور والدعم الملائكي يعمّق أجواء روحانية ويقرب المؤمن من خالقه.

بشكل عام، يمثل الإيمان بعون الملائكة مصدراً لا ينضب للسكينة والأمل والقوة للمؤمنين. هذا الإيمان يذكرنا بأننا لسنا وحدنا في هذا الكون الفسيح، ولن نتحمل عبء المشكلات بمفردنا. إن يد العون الإلهية، و تنفيذها اللطفاء، هم سندنا الدائم؛ لذا يمكننا أن نمضي بثقة وتفاؤل نحو تحقيق أهدافنا المقدسة.

Mentazer Mentazer

Mentazer Mentazer

Mentazer Mentazer

Mentazer Mentazer